مجلة الشهاب • المجلد: 09، العدد: 02 (2023م) • ص ص 323 - 334
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

ترشيد الفكر الدِّيني من خلال علم مقارنة الأديان
" مشكلة الصراع المذهبي في الجزائر أنموذجاً " ـ مقاربة تحليلية متحيزة ـ

Rationalizing Religious Thought Through the Science of Comparing Religions "The Problem of Sectarian Conflict in Algeria" as a Model - Biased analytical approach

أ.د لزهر خديجة *
كلية العلوم الإسلامية، جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر1 (جامعة الجزائر)
Lazhar_kh@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/12/08 | تاريخ الاستلام: 2023/06/11 | تاريخ النشر: 2023/07/15

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص: تعتزم هذه الدراسة تسليط الضوء على عملية ترشيد الفكر الديّني في ضوء علم مقارنة الأديان، وتعمد هذه المرة في أفق جديد لحل مشكلة الصراع المذهبي في بلدنا الجزائر كنموذج دراسي جاد وميداني عشنا مرارته، ولا زلنا نصارع كل موجات الأفكار الهدامة،ذلك إن علم مقارنة الأديان يأتي كحل أمثل ومناسب في الوضع الراهن الذي تشهده البلدان الإسلامية، وخصوصا الجزائر، حيث يمكن احتواء أي ظاهرة دينية أو تيار ديني أو طائفة أو فرقة دينية ضمن علم مقارنة الأديان وفهم أبعادها وانعكاساتها، كما يسوقنا هذا العلم الأصيل إلى الوقوف على أسباب الانشطار في الرأي الفكري الدّيني وفهم أسباب الصراع، والتوحد بالرأي والفكرة الدّينية، والتأسيس لفكر التعايش السلمي لأتباع وأبناء الدين الواحد، أصحابَ الطوائف المتعددة، كما تطرق الباحث في هذه الورقة إلى معالجة منهجية لمشكلة الصراع الدِّيني من وجهة نظر علم مقارنة الأديان، فمثلاً يمكننا فهم أسباب التأجج والصراع والاحتدام المذهبي في الجزائر التي زادت الطين بلة مع ظهور التيار السلفي الذي أدى بدوره إلى تحطيم كل الطوائف والمذاهب الفقهية والعقيدية التي اعتبرها كأصنام في وجهه يجب استئصالها، كما فتح صفحة جديدة لارتباطات وآليات ومناهج علم مقارنة الأديان في ترسيخ مبدأ السلم والسلام والأمان الأصيل في دين الإسلام والحفاظ على المرجعية الدّينية الصحيحة.

الكلمات المفتاحية: الحوار الدّيني؛ علم مقارنة الأديان؛ الفكرة الدينية؛ دراسة الأديان؛ مناهج علماء المسلمين.

Abstract : This study intends to shed light on the process of rationalizing religious thought in the light of the science of comparative religion, and deliberately this time on a new horizon to solve the problem of sectarian conflict in our country Algeria as a serious and field study model, we lived through its bitterness, and we still struggle with all waves of destructive

* المؤلف المراسل.

ideas, because comparative Religions science comes as an optimal and appropriate solution in the current situation witnessed by Muslim countries, especially Algeria, where any religious phenomenon, religious current, sect or religious sect can be contained within the science of comparative religions and understanding their dimensions and repercussions, as this original science leads us to identify the causes of splitting in opinion., which in turn led to the destruction of all sects and doctrines, which he considered as idols. eradicating it, as well as opening a new page for the links, mechanisms and methods of comparative religion in establishing the principle of peace, peace and security inherent in the religion of Islam and preserving the correct religious reference.
Keywords: comparative religion science; to the religious idea; study of religions; Methods of Muslim Scholars.

1. مقدمة

إنَّ ترشيد الفكر الدِّيني من خلال علم مقارنة الأديان يشمل الوقوف على حقيقة المعتقدات الدينيّة، والتّعرّف على مدى صحتها، وما تشابه منها، ومواطن الخلاف بينها، وهو ما نجده في علم يبحث في الأديان من حيث منشئها وتطورها وانتشارها وأتباعها في العقائد والأصول التي تتركز عليه الأديان المختلفة وفي أوجه الاختلاف والاتفاق فيما بينهما مع المقارنة والمناقشة والرد، من هذا تعيّن على الفكر الإنساني الاهتمام بظاهرة(الدّين) وجعله من المعارف الأساسية لدراسته في إطار العلوم حتى ظهر كعلم مستقل بمنهج واهتماماته العلمية كباقي العلوم، وهنا تكمن الأهمية العلمية والضرورة الملحة في العودة إلى رحاب هذا العلم القديم والحديث في نفس الوقت، والذي يمكن أن يحل جزء كبير من مشاكل الصراعات الفكرية الدِّينية واللاهوتية في الأديان قاطبة، وعند الطوائف الدِّينية بشكل خاص ومحدد، وهذا بالانفتاح على الآخر وفهم معتقداته واحترامها، أو من باب الحوار بين أتباع الديانات والطوائف من أجل التقرب بينها، كل هذا من أجل تحقيق مبدأ السلام الهي العالمي لحقن الدماء، وتحقيق التعايش بسلام، ونعني أن علم مقارنة الأديان أو دراسة الأديان هو بنك معرفي ومرجعية ممنهجة من أجل حل الكثير من مشكلات الصراع المذهبي في العالم العربي والعالم الإسلامي.

وحتى لا تضيق رؤيتنا فإنَّ التعصب المذهبي الإيديولوجي لا يقتصر على المسلمين ومناطقهم، بل هناك تعصب منتشر في العالم قد يكون مسيحيا أو يهوديا أو بوذيا أو هندوسيا، وهناك أنظمة عالمية لا تسلم سياساتها من خلفيات دينية وثقافية تتسبب في تأجيج الصراعات، كما أنَّ النزاع المذهبي الإيديولوجي قد يجر المنطقة إلى حالة من التمزق والصراعات والتفكيك لا يستفيد منها سوى أعداء الأمة، وهذا النوع من الصراعات هو صراع أعمى ومدمر للجميع، وحتَّى لتلك الأنظمة التي تلعب اللعبة الطائفية أو تسلك مسلكا طائفيا..

بودي أن أسلط الضوء هذه المرة على مشكل الصراع الطائفي وأقصد به المذهبي الإيديولوجي في بلدنا الجزائر كنموذج دراسي جاد وميداني، عشنا مرارته، ولا زلنا نصارع كل موجات الأفكار الهدامة، والتكالب المتزايد والتطاول على أعلام الأمة الجزائرية، وتسرب الفكر التخويني والتكفيري عند شبابنا

وطلابنا، ونحمل المسؤولية كل المسؤلية أمام الله والتاريخ لتلك الدماء التي سقطت في الجزائر في الستعينيات وسقطت في مدينة غرداية الحبيبة، كل هذا بسب التعصب الذي تبلور إلى مشكل حقيقي وهو مشكل الصراع المذهبي .

إنَّ علم مقارنة الأديان يأتي كحل أمثل ومناسب في الوضع الراهن الذي تشهده البلدان الإسلامية، وخصوصا الجزائر، حيث يمكن احتواء أي ظاهرة دينية أو تيار ديني او طائفة او فرقة دينية ضمن علم مقارنة الأديان، حيث يمكن الوقوف على أسباب الانشطار في الرأي، والتوحد بالرأي والفكرة الدّينية، والتأسيس لفكر التعايش السلمي لأتباع وأبناء الدين الواحد، أصحابَ الطوائف المتعددة، برأي الكثير من الملاحظين فإنَّ النزاع الحالي لا علاقة له بالانتماء الدِّيني أو اللغوي، وهذا خطأ فادح، إذ يمكننا فهم أي ظاهرة دينية من منظور علم الأديان ودراستها، فمثلاً يمكننا فهم أسباب التأجج والصراع والاحتدام الطائفي المذهبي في الجزائر التي زادت الطين بلة مع ظهور التيار السلفي و الذي أدى بدوره إلى تحطيم كل الطوائف والمذاهب الفقهية والعقيدية التي اعتبرها كأصنام في وجهه يجب استئصالها، فلا صوفية و لا مذهبية ولا إباضية في الجزائر، على الرغم من وجود أغلبية مسلمة وأقلية مسيحية دينية لا تصل 0.01 بالمائة.

يلعب البعد المذهبي الطائفي المحرك الأساسي لاستمرارها، مما يعقد كثيرا الوصول إلى حلول تنهي حالة اللا استقرار، وأعطي مثالا: رغم عودة الهدوء تدريجيا إلى ساحة المواجهات الدامية بين العرب "**المالكيين**" **والأمازيغ "الإباضيين"** في الجزائر، والتي أسفرت أخيراً عن مقتل أكثر من 22 شخصا وجرح عشرات الأشخاص، إلا أن الأسئلة المثارة بشأن خلفيات ودلالات أحداث غرداية لا تزال مطروحة بحدة، و يجب الوقوف على الأسباب الحقيقية التي أدت إلى هذا الصراع الطائفي الثائر...

إنَّ مشكلة الصراع المذهبي الطائفي ليس دائما سببها حمل هم للفكرة الدِّينية والذود عنها؛ فمثلاً ظاهرة التغلغل الشيعي في الجزائر إذا ما أخضعناها للدراسة من وجهة علم الأديان فنرى أن التغلغل الشيعي في الجزائر كان يعتمد على التركيز على ثغرة الفراغ الدِّيني والفكري وقلة العلم، وهو شبيه بما وقع في القرن 11 لمَّا انتشر التَّشيع عن طريق أبو عبد الله الذي اشتغل ضعف القبائل الأمازيغية وغرقها في حروب مع الأنظمة الشرقية لنشر مذهبه، إن مثل هذه الاكتشافات الفكرية وفهم أسبابها لا يمكننا الإتيان بها، أو أحداث أي مقاربة نحوها لولا فهما من منظور علم مقارنة الأديان الذي يؤدي إلى الإحاطة التاريخية للفكرة الدِّينية،و رسم جغرافية لها، وعرض أفكار الطائفة ونقدها ...

إشكالية الدراسة:

وهنا تكمن الإشكالية المحورية: ضمن الإطار العام للدِّراسة: كيف يمكن حل مشكلة الصراع المذهبي في الجزائر أنموذجاً من خلال ترشيد الفكر الدِّيني ضمن منظور علم مقارنة الأديان أو علم دراسة الأديان؟ وكيف أدى ظهور الصراع المذهبي – الإيديولوجي- لدى أتباع الدِّيني الواحد في

الجزائر، وتناميه في ظل الحركات الدينية الجديدة؟ وما هي الحلول المقترحة التي يقدمها علم مقارنة الأديان كحلول وتوصيات مستقبلية للحدِّ من ظاهرة تأجج الصراع وتناميه الذي يمكن أن يضرب استقرار وأمن الوطن برمته ؟ .

وتحت الإشكالية المحورية تندرج الأسئلة الفرعية: ودائما وأبدا يمكننا فقهم أسباب وأبعاد التصعيد المذهبي الطائفي من منظور علم الأديان :

1- هل ما يحدث في الجزائر بالتحديد صراع مذهبي طائفي ديني أم صراع اجتماعي سياسي أم هناك أيادي أجنبية خارجية متورطة في هذه الفتنة ؟.

أولا : أسباب الفتنة المذهبية الطائفية في الجزائر قراءة في المفهوم ودلالاته من وجهة نظر علم الأديان : (ظاهرة تعددية الأديان أو التعدد والتنوع الدِّيني): يبدو أنَّ البذور الخبيثة لخلق مشكلة جديدة تلتقي فيها سهام الأقلية الإثنية والعرقية معا بدأت تأكل في جسد الجزائر الذي لم يعد يحتمل طعنات أخرى، كتلك النزاعات التي تشهدها الآن وتجسد بذور الفتنة بين "**الأباضية**" و"**المالكية** " مثلاً، فهذا المصطلح الذي استخدمته جهات معينة هو جزء كبير من دسائس الفتنة المذهبية التي تريد أيادي جنبية زرعها في هذا البلد الطيب الطهور، لذلك فإنَّ أي محاولة لتقديم إجابات مقنعة عن أسباب الفتنة المذهبية في بلدنا الجزائر يتطلب منا التطرق إلى ظاهرة تعددية الأديان أو التعدد والتنوع الدِّيني" لانَّ فهم أسباب هذه الظواهر الدِّينية في بلد مثل الجزائر الذي تعيش فيه أقليات دينية بالنسبة لدين البلد الذي هو الإسلام، بمفهوم آخر الأقليات المخالفة لإسلام في المعتقد قليلة جداً كأقليات مسيحية وبقايا معتقدات يهودية سرية، مرتبطة بأسباب تاريخية.

وبغض النظر عن ذلك كله فإنَّ ظاهرة تعددية الأديان أو التعدد والتنوع الديني من منظور عالمي ودولي، قد أضحت حقيقة اجتماعية وكمسلمة فطرية، لا بد أن تواجهها المجتمعات الإنسانية المعاصرة بكل انتماءاتها الدينية المختلفة، حيث شهد التاريخ البشري لأول مرة عالميا أو عولميا، تعايش الناس من أتباع الأديان المختلفة متجاورين في بلد واحد، وفي قرية واحدة، بل وفي شارع واحد، الأمر الذي يشكل مشكلة جديدة بالنسبة للمجتمعات التي لم تكن لديها خبرة أو تجربة في التعايش الدّيني السلمي، مثل الغرب، مما أجبر قادتها وزعماءها وحكماءها وعلماءها على اختلاف تخصصاتهم ومجالاتهم العلمية على إيجاد حل لمشكلة هذه الظاهرة الجديدة، ومن هنا ظهر عدد من أطروحات التعددية الدِّينية يمكن تصنيفه، بناء على أبرز الأفكار المتميزة المطروحة، في أربعة اتجاهات. أولها الإنسانية العلمانية (**Secular humanism**)، وثانيها اللاهوت العولمي (**Global theology**)، وثالثها التوفيقية أو الانتقائية (**Syncretism or Eclecticism**)، ورابعها الحكمة الخالدة (**perennial wisdom, or sophia perennis**). ولكن هذه الاتجاهات عند التحقيق، كما سنرى في صفحات هذه الدِّراسة، إنما تنصبّ جميعا في نهاية المطاف، في مصبّ واحد وهو إضفاء صفة الشرعية المتساوية على جميع الأديان

(والمذاهب والأيديولوجيات) الموجودة بحيث تتعايش جميعا في أمن وسلام وتسامح واحترام متبادل دون أن يسيطر أحد منها على الآخر. على الأقل، هذا ما يظهر مما تريد أن تفرضه هذه الاتجاهات. فأصبح هذا هو المفهوم المتداول والشائع حاليا عندما أطلق مصطلح "**التعددية الدينية (Religious pluralism)**".

هذا من جهة، لكن من جهة أخرى يبدو أنَّ الوضع مختلف تماماً وأكثر تعقيداً عن سالف ما ذكرناه فالصراع الديني الإيديولوجي عند أي ديانة من الأديان سيبدو أكثر تعقيداً عن المفهوم العالمي، ذلك إنَّ أي صراع مذهب متعصب طائفي داخل ديانة واحدة يصبح أكثر صعوبة من الصراع بين أتباع الأديان المختلفة المذاهب والمشارب، ولصحة ما ندعيه سنقدم أمثلة عن ذلك لإجابة عن أسباب والتلميح بخطورة الصراع الداخلي المذهبي لدين واحد.

إنَّ الأسباب الحقيقية التي أدت إلى الصراع المذهب الطائفي في الجزائر حتماً نشأت ضمن أسباب معينة سنتعرف عليها من وجهة نظر علم الأديان،" حيث أدت بدورها إلى إحداث حالة من الكراهية والحنق ؛ وهي الحالة التي تتطور إلى العنف والعنف المضاد، مما يمكِّن أصحاب الأجندات الهدامة من استغلال الحالة في إثارة القلاقل والفتن واللجوء إلى التفسيرات الخاطئة للنصوص المقدسة[1].

إنَّ فهم الأسباب الحقيقية من منظور علم مقارنة الأديان لحل مشكلة الصراع المذهبي في الجزائر، يبدأ بصياغة أسئلة ضمن المنظومة الدِّينية القائم عليها علم مقارنة الأديان :

أولاً : لماذا تصاعد الصراع المذهبي في الجزائر مؤخراً أي منذ بروز التيار الإسلامي خصوصاً إلى الفضاء السِّياسي منذ زمن التسعينيات، ولنتذكر تلك الأحداث الدامية ... يمكننا القول دون مبالغة:

إنَّ تلك الأحداث هو صراع مذهبي صرف قبل أن يأخذ بعداً سياسياً من وجهة نظري الخاصة من منظور علم دراسة الأديان، ذلك إنَّ عرض كل أسباب التحول الفكري والإيديولوجي كان سببها الأول هو التَّوجه الدِّيني الذي لعب دور المحرك الرئيس لكل الحراك المذهبي والمذهبي الإيديولوجي الذي رام تحقيق مشروع خارجي ينفي قيمة الأصالة الدِّينية، ويدعي حمل –بزعمه-مشروع إسلامي كجل بديل يجب أن يفرض بقوة آنذاك، واعتمد على طمس الهوية الوطنية والدينية التي بدورها تقضي على الوحدة الدينية، وبوجه دقيق يُمكننا تسليط الضوء هذه المرة على أحداث التسعينيات التي حدثت في بلدنا الجزائر؛ ولتوضيح أكثر نقصد بذلك الفكر السعودي السلفي أو الوهابي، حيث لعب دور الورقة المخفية تحت الطاولة، ولفك هذه الإشكالات الفكرية يمكن رسم مخطط منهجي وخطوات أساسية مهمة لتقديم مقاربات من أجل الحصول على إجابات مقنعة ودقيقة.

لذلك نحاول تقديم صياغة منهجية كالآتي :

1- بتصرف يسير: الحاج دواق، التعددية الدينية ومنطق التعايش، ص 11.

2. الصراع الدِّيني من وجهة نظر علم مقارنة الأديان:

ينظر علم دراسة الأديان أو علم مقارنة الأديان إلى حقائق كل ديانة من حيث منشأها، كما يقف على أهم أفكار معتنقيها، ويدرس أصول فكر كل ديانة، ولذلك فقبل الولوج إلى نظرة هذا العلم إلى الصراع الديني قبل الحديث عن الصراع الطائفي كما سيأتي، ومن ثم إسقاطه على الواقع المذهبي الإيديولوجي في الجزائر ليس بالأمر السهل، بل يجب أن نحدث مقاربات توصيلية فهمية لكي يتسنى لقارئ فهم مقصود الكاتب، ولذا فإنَّ دراسة أديان العالم عقيدة ومؤسسا وكتبا وتاريخا من لب التخصص. ومن أهم قضايا هذا الحقل ربط الأحداث والمواقف وظواهر الحياة بالأديان، من مثل المرأة في الأديان، أو الحرب في الأديان، أو حقوق الإنسان، الحرية الدينية أو الاعتقادية، موقف الأديان من العلم وبناء الحضارات، وحوار الأديان.. وما إلى ذلك، ومن الجدير بالذكر أيضا أنَّ عملية المقارنة ليس شرطا في هذا الحقل، وإن حمل اسم "مقارنة الأديان" أحيانا، فهو ممكن لكن ليس لازما؛ ولعل هذا أمر يختلط على كثير منا؛ فيستهجن!.

إنَّ ولادة هذه الدّراسة جاءت من منطلق تفكير عميق وسبر أغوار علم المقارنة الذي تتمكن وظيفته الأساسية في "**تمكين الإنسان لمعرفة الحق من الدين**" و لكون الدِّين ظاهرة محوريّة في صياغة التصورات الفكريّة وأنماط الحياة في كثيرٍ من المجتمعات البشريّة، ولما للدين أيضًا من دور حاسم وفاعل في تشكيل معالم الحياة المعاصرة، فعليه يجب: "على أهل الذكر والفكر منّا صياغة نظريّة متكاملة عن الدِّين."

حيث نجد مقاربة معرفية تتقاطع و مناهج دراسة الأديان من الناحيّة العمليّة لمعرفة أسباب الصراع المذهبي بسبب التدين الخاطئ،- وهذا ما يحدث في الجزائر بشكل أو بآخر-، أو ما يسمى بالفهم الخاطئ لتعاليم الدِّينية ولإجابة عن هذه الأسئلة، نحاول إحداث مقاربات فكرية تحليلية تخص المناهج المتعلقة بدراسة الفكر الدِّيني المتعلق بالتصور الإسلامي لمباحث الدين الإسلامي، " حيث قدّمت مناهج دراسة الأديان أُكُلها المعرفيّ في مجال دراسة العقائد وثقافة المجتمعات البشريّة، مما جعلها تحتلّ مكانتها العلميّة في مسيرة التاريخ البشريّ، ولهذا يصرّ غالبيّة الدّارسين للفكر الدِّينيّ على إمكانيّة دراسة الدين، ويرون أن الدِّين -وإن كان يتعلق بقضايا في جوهرها نفسيّة وروحيّة- يمكن دراسته على الأقل من الناحيّة النظريّة، بوصفه ظاهرة ذات أبعاد متداخلة ومتضايقة، كالبعد النظريّ الذي يتشخص في الأصول النّظريّة للدِّين مثل أصول العقائد، والبعد العمليّ الذي يشمل المنظومة الأخلاقيّة والأعياد الدِّينيّة والطّقوس التّعبديّة، والبعد التّنظيميّ الإداريّ مثل المعابد والكنائس، والبعد العاطفيّ الوجدانيّ الذي يتمظهر في نظم البناء وهندسته، وفي الشّعر، والموسيقى، والفنون عموماً" [1].

1- علم مقارنة الأديان بين سؤالي المفهوم والموضوعية: دراسة تحليليّة مقارنة، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر مجلد 17 عدد 67.

3. حقيقة الصراع المذهبي الطائفي في الجزائر رؤية من وجهة علم دراسة الأديان:

قبل الخوض في غمار هذه المقاربات التحليلية نشير إلى أنَّ مشكلة الصراع المذهبي في الجزائر، لم تلقى كبير اهتمام منذ زمن بعيد، بقدر ما تفطن إليها وزير الشؤون الدِّينية و الأوقاف محمد عيسى، حيث تفطن للخطورة هذا الوضع الحرج الدِّيني للمتدينين الذي يسود أبناء الوطن الواحد حيث "أكد وزير الشؤون الدينية والأوقاف الدكتور محمد عيسى أنَّ الجزائر لن تكون في يوم من الأيام أرض صراع وهابي- شيعي، معتبرا أنَّ ما تعيشه دول الربيع العربي من نار ودمار سببه في المقام الأول تحولها لساحة حرب طائفية، كاشفا عن تشكيل خلية عمل لتقديم مشروع قانون لتجريم التشدد الدِّيني والانحراف النحلي، وأضاف عيسى في حديث مطول مع "**الحوار**" ينشر على حلقات، أن المرجعية الدينية الوطنية هي صمام الأمن لوحدة الجزائريين، وأن هناك محاولات خارجية لفرض مرجعيات بديلة في بلادنا، مشيدا في السياق ذاته بالدور الكبير الذي تلعبه مختلف مصالح الأمن في الذود عن المرجعية الدينية الجزائرية"، إنَّ الصراع الطائفي الإيديولوجي المذهبي من وجهة نظر علم مقارنة الأديان يرتكز على تحليل الظاهرة دينياً وأخلاقيا من منظور المناهج التي يعتمد عليها، فنجد أنَّ مشكلة الصراع المذهبي سببها التعصب والتقديس كجزء من الكل، وحمل فكرة دينية خاطئة؛ فالدافع على الإقدام إلى دراسة الأديان في الإسلام هو الإسلام نفسه، ومن هنا فعنصر التقديس موجود دائم، ومتوفر؛ صاحب وثابت "في المسالة الدِّينية، لذلك فقد تنوعت مناهج علماء المسلمين في دراسة الأديان؛ فعندهم المنهج الجدلي أو النقدي ومنهج الرد، ومن العلماء السَّالكين لهذا **المنهج الغزالي في الرد الجميل لألولهية عيسى بصريح الإنجيل**، وابن تيمية في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، على أن هذا المنهج غير محبذ كثيرا في الفكر الغربي؛ لأنه ينافي فكرة التأسيس ويناقضها، إذ يهدم أكثر مما يبني كما يرون.

فالمثال الأول: الذي اخترناه لإعطاء صورة عن حقيقة الصراع المذهبي في الجزائر هو التعصب للحمل الفكرة الدِّينية، ويأتي هذا ضمن طبيعة النسق التَّديني الذي يعتمد عليه المتدين الجزائري وسلوكياته تجاه حمل الفكرة الدِّينية و الذود عنها بشتى الأساليب والسلوكيات التي اكتسبها من البيئة القاسية التي يعيشها كل الجزائريين ولو على حساب أخلاقه أو مستواها الدّيني .

هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أنه إن كان الدافع إلى دراسة الأديان عند المسلمين الدّين نفسه، ففي الفكر الغربي الدَّافع ليس دينيا أبدا، فلا جَرَم أن لا اعتبار لعنصر القداسة؛ إلا وصفا، ولعل العامل في هذا معروف عندنا جميعا؛ فالغرب وضعوا أصول هذه الدراسة في حضارة لم تقم إلا بعد أن أُقصي الدين؛ وبعد أن أتعبهم الدِّين بقيادة رجال الكنيسة، وأثقلوهم بالتخلف والظلم والحرمان. (ومن هنا لا غرابة في الكتابة والقراءة عن مثل: **موت الإله**، ومستقبل الدين، ونهاية الدين،

وتأليه الإنسان، أو استغناء العلم عن الدين).[1]

لذا تباينت مناهج دراسة الأديان في الغرب عنها في الفكر الإسلامي؛ فمن مناهج الغرب في دراسة الأديان "**المنهج الظاهراتي**"، وصف الدين كما هو ظاهر في الأعمال اليومية وطريقة العبادة والطقوس الدينية في الأفراح والأتراح. ومن الذين انتهجوا هذا المنهج عمانوئيل كانط في مواقفه الفلسفية ورؤيته إلى الدين، وإدموند هوسرل في **Handbook Of The History Of Religion**، وجيرالدوس فان دير ليو في **Religion In Essence And Manifestation**، وميرسيا إلياد في **The Sacred And The Profane**، ونينيان سمرت في **The Phenomenon Of Religion**. ومن المناهج الغربية في دراسة الأديان المنهج الفلسفي، ومن منتهجيها نينيان سمرت في كتابه **world philosophies**، وإيريك شارب في **understanding Religion**.[2]

فالصراع المذهبي مرجعه الأساسي والرئيس هو حمل هم للفكرة الدينية والدفاع عنها كما أشرنا، غير أنَّ دراسة الأديان بدقة، بالنسبة لمن يريد البحث عن الحقيقة هو إمكانية تقبل الرأي والرأي الآخر...

إنَّ مشكلة الصراع المذهبي المتعصب في الجزائر سببها الأول أنّ الفكر السلفيّ غالباً ما يتّخذ من التطرّف قاعدة دينيّة أساسيّة له، وهذا ما يرفضه علم دراسة الأديان، لا مكان لتعصب وتقديم التقديس أمام هذا العلم الجدير بالاحترام، أشرنا سابقاً إلى المنهج الجدلي الذي يرتكز عليه علم مقارنة الأديان ... هو مفقود عند هذه الطائفة التي تبتز عقول شباب المسلمين بفكرة الاعتقاد التسليمي الخالي من الجدل والمغيب لأداة التفكر والتدبر وهو المنهج العقلي أو استخدام العقل في فهم النص المقدس، وهذا ما أثبته علم مقارنة الأديان كحل للمشكلة الانشطار الفكري الديني وترشيده بالمنهج العقلي الجدلي وإبطال شعارات اعتقد ولا تنتقد، مستمداً روح ذلك من القرآن الكريم الذي أثبت منهج الشك كما في- قصة سيدنا إبراهيم مع أبيه آزر-.

4. الأسس المعرفية لترشيد الفكر الديني من وجهة علم مقارنة الأديان

إنّ الاختلاف الدّينيّ و العقائدي، والتّباين المذهبي، أدّى في بعض الأحيان إلى توتّرات و مُشادّات بين الفريقين، كما أنّه في أحايين أُخرى؛ أنتج حركة فكريّة حضاريّة ثقافيّة واسعة فيما بينهما، ولئن كانت تلك التّوتّرات والمُشادّات قد تبلورت في حُدوث بعض النّزاعات، ونُشوب صراعات مذهبية طائفية ردحاً من الزّمن، فإنّ افتعال هذه العمليّة، في هذا الوقت بالذّات، وبعد فترات عصيبة مرّ بها الطّرفان، له أهداف مُسطّرةٌ، و أبعادٌ مُرتّبة، يصبو كُلّ فريق إلى تحقيقها، و الوصول إليها، و لو على حساب الطّرف

1- انظر: علم مقارنة الأديان.. فضاء معرفي لفهم الآخر، الموقع الرسمي لإسلام أون لاين، http://islamonline.net/3174.

2- أحمد بن سيف الدين تركستاني: الحوار مع أصحاب الأديان، ص16

3- انظر بالتفصيل : Lelong (Michel), l'islam et l'occident, Albin Michel, Paris, 1982, p . 149.

وكذلك : علم مقارنة الأديان.. فضاء معرفي لفهم الآخر، الموقع الرسمي لإسلام أولاين، http://islamonline.net/3174.

الآخر، سواء أكانت تلك الأهداف مُعلنة أم خفيّة، خاصّة أم مشتركة.

فإنَّنا نرى أنَّ **علم مقارنة الأديان** أسهم في حل الكثير من المشاكل، ذلك إنَّ للحوار أهمّيّة كبرى في توجيه القضايا و بلورتها، سواء الدّينيّة منها أو الدّنيويّة، وعلى كافّة الأصعدة، و مختلف المستويات، ذلك أنّه يناقش كلّ هذه المسائل بأسلوب محكمٍ دقيقٍ رقيقٍ و هادئٍ، وبصورة واضحة، و الحوار بهذا المفهوم يخدم كثيرًا من الأغراض الّتي تناط به، سواء من حيث الشّكل أو المضمون، وسواء أكانت تلك الأغراض خفيّة أم ظاهرة، فرديّة أم جماعيّة، و بهذا الوصف يكون للحوار دورًا فعّالًا، و مكانةً بارزةً في شتّى مناحي الحياة .

عُرِّف الحوار في الاصطلاح بتعاريف عدّة، تحمل اختلافات بسيطة، خاصة من حيث الألفاظ المستخدمة في تلك التعاريف، ومعظمها يصبُّ في مجرى واحد، وينحو اتجاها متقاربا، إذ لا نجد هناك كبير فرق بينها، إلّا ما كان من اختلاف طفيف في الألفاظ و العبارات، و الّتي غالبا ما تؤدّي إلى المعنى ذاته. نذكر من ذلك أنَّ :

* الحوار هو: " مراجعة للكلام بين طرفين أو أكثر، دون وجود خصومة بينهم بالضرورة "[3].

* أو هو: "محادثة بين شخصين، يتحدث أحدهما و يجيبه الثاني، أو يرد عليه و يراجعه؛ إمَّا على أساس المساءلة والإجابة، وإمّا على أساس إبداء الرأي من جهة، ومراجعته من طرف الجهة.

الثانية"*[1] أو هو: " نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما بالكلام دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والغضب، ومثال ذلك: ما يكون بين صديقين في دراسة، أو زميلين في عمل، أو مجموعة في نادٍ، أو مجلس، أو سهرة"[2].

والحوار بهذا الشكل يختلف تمامًا عن الجدل؛ إذ أنَّه يقوم على مبادئ و أسس سليمة التّكوين في مناهجها، كما يدور بين طرفين متّفقين على فكرة ما، يتّخذان الحوار وسيلة لكشفها و دراستها في جوٍّ

1- أحمد بن سيف الدين تركستاني: الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته و شروطه و آدابه، ص9، نقلا عن: حدة سابق: ضوابط الحوار الإسلامي المسيحي في ضوء القرءان الكريم، ط[ ]، دار الفجر: قسنطينة، الجزائر، ت[ ]، ص16.

2 - راجع : Levrat (Jacques), Du dialogue, horizons méditerranéens, Casablanca, 1993; pp. 139 – 152. -

وما كتبه محمد الكتاني: ثقافة الحوار في الإسلام من التأسيس إلى التأصيل، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: الرباط، المغرب، 1428هـ / 2007م، ص12.

3 - **على حد تعبير عالم اللاهوت الألماني هانز كونج): « لن يكون هناك سلام بين الأمم ما لم يكن هناك سلام بين الأديان، ولن يكون هناك سلام بين الأديان ما لم يكن هناك حوار بين الأديان، إننا نعتقد بأهمية أن تتجه حوارات الأديان إلى بيان وتعميق أسس التفاهم المدني بين البشر. فالقيم الدّينية الكبرى في كل الأديان تكون عامل إغناء وتعزيز لكل تفاهم وتعايش بين بني الإنسان،** ولكي تكون الحوارات الدينية جسراً لتعميق أسس التفاهم المدني بين الأمم والمجتمعات الإنسانية انظر: موسى بن يحي الفيفي: الحوار أصوله و آدابه وكيف نربي أبناءنا عليه؟، [ ]، دار الخصيري للنشر: المدينة المنورة، 1427هـ، ص30.

يسوده الهدوء، بعيدًا عن مواطن الانفعال و الهيجان، في حين يفتقد الجدل لمثل هذه المواصفات، إذ يبدُر من المتجادلين الانفعال والحماس الذي يصل في كثير من الأحيان إلى السبِّ و الشتم و الاقتتال، لأنَّ القضيّة المطروحة للنقاش مختلف فيها، كما أنَّ كلّ واحد من المتجادلين يبغي نصرة رأيه فيتعصّب له ولو كان مجانبًا للصّواب؛ لأنّ المغزى من الجدال الغلبة و الانتصار على الخصم، على عكس الحوار الذي غايته الوصول للحقيقية و لو بالتنازلات الشخصيّة.

حيث: الحوار الدّيني كحل للصراع الطائفي المذهبي في الجزائر

للحوار مجالات عديدة، يتطرّق إليها المتحاورون أثناء مناقشاتهم عند إجراء عمليّة الحوار، فقد تُعقد المؤتمرات الحواريّة إمّا لمعالجة القضايا السّياسيّة أو الاقتصاديّة أو الاجتماعيّة أو الثقافية، وهذه كلّها تُعد قضايا دنيويّة، وإمّا للنظر في المسائل الدّينيّة التي تبحث في العقائد والشرائع و الأحكام الفقهيّة، والّتي يحظرها غالبًا و يدير جلساتها متديّنون ينتمون لمختلف الديانات، وهذا ما يسمّى بـ:" الحوار الدِّيني " فما المقصود به ؟.

إنّ الحوار الدّيني هو أن: " يتبادل المتحاورون من أهل الأديان المعلومات والأفكار والحقائق، الّتي تزيد من معرفة كل فريق بدين الفريق الآخر، وتاريخه وحضارته، وسائر أموره، توضيحًا لما قد يكون بينهما من مواطن التّلاقي أو الاختلاف بكل سماحة وموضوعيّة، فيحتفظ كل طرف بمعتقداته والتزاماته ومواقفه، في جوٍّ من الودّ والاحترام المتبادلين، وبناء على هذا التّصوّر قامت جملة الحوارات، والمؤتمرات الدّوليّة والإقليميّة والقُطريّة، الّتي تبحث في مسائل الدّين، في شتّى صوره، ومجالاته العقديّة والتّشريعيّة والأخلاقيّة "[1].

والمفهوم الحقيقي للحوار الدّيني لا يقتصر على مجرّد تبادل الآراء وغرس روح التّسامح وتّعاطف والإخاء، وإنّما يجب إعماله إيجابيًا في تغيير نوعيّة الحياة، و إحلال قِيم العدل، والقسط في التعامل بين الأفراد والجماعات والدّول، وأن يُسعى به إلى خلق نظام عالمي يضمن العدل، وإعلاء قيمة الإنسان، وصون كرامته، و تأمين حقوقه، والاستجابة لحاجاته الأساسيّة العادلة، استخدم علم مقارنة الأديان هذا الأسلوب ويعتبره مبدأ من مبادئ لترشيد الفكر الدِّيني.

حيث نجد أنَّ سبب الصراع المذهبي في الجزائر سببه الأول من منظور الأديان هو إغلاق باب الحوار الهادئ، الذي أرشد إليه الإسلام، وباعتبار أنَّ علم مقارنة الأديان هو علم إسلامي أصيل، ولد في أحضان البيئة الإسلام مستمداً مصادره من الأصول التي يقوم عليها الدين الإسلامي، إن إغلاق باب

1 – فمن وجهة نظر **"علم مقارنة الأديان** نجد أن له وجهة نظر جد مهمة أغفلها الكثير من الباحثين حيث أسهمت في إحداث هذه النقلة النوعية نحو حوار الثقافات والأديان، وقد سمح **علم مقارنة الأديان** من خلال أهم مبادئه آل وهو" **الحوار بين الأديان**" بإعطاء وصف عالم واسع ومتنوع الأهداف والمستويات راجع :محمد الفاضل بن علي اللّافي: تأصيل الحوار الدّيني – تأصيل المصطلحات و تحديد الضّوابط الشّرعيّة – مع مثال تطبيقي (السّودان نموذجًا)،، ص295.

الحوار سيؤدي إلى غياب ثقافة التعددية الفكرية والتوافق السياسي، ووجود مصالح ضيقة، أو أجندات سياسية ضيقة، عند بعض الأشخاص أو بعض الجماعات المهيمنة على الطوائف، التي تسعى إلى تحقيق هذه المصالح دون النظر لأخطار المترتبة عليها.

وفي النهاية يمكننا القول إنَّ معالجة موضوعات حساسة كهذه وفق هذه الأطروحة أمر صعب للغاية، فهي تمثل تقديم رؤية جديدة و اجتهاد رصين ذو صبغة علمية و موضوعية ....لإجابة عن كل الإشكاليات المثارة في البحث وفق عملية المقاربة المنتجة لمعرفة الصواب...

5. الخاتمة

يمكننا أن نستنبط جملة من المعارف والأحكام بعد إحداث هذه المقاربة في ضوء علم مقارنة الأديان إزاء مشكلة الصراع الطائفي المذهبي في الجزائر، حيث يمكننا تقديم حلول ممكنة :

1- إن الاختلاف طبع من طباع البشر، وعليه فإنَّ الصراع لا يزال قائما في كل جيل وفي كل وطن، لذلك فإن الاعتناء بدراسة الأديان و الاهتمام بعلم مقارنة الأديان بات أمر مهم لتعمق أكثر في فهم أسباب المشاكل الدينية للمتدينين في العالم الإسلام وفهم أبعاد كل القضايا الدينية ومقارنتها لأنه من خصائصه المنهج المقارن .

2- إنَّ **علم مقارنة الأديان** أسهم في حل الكثير من المشاكل، ذلك إنَّ للحوار أهمّيّة كبرى في توجيه القضايا و بلورتها، سواء الدّينيّة منها أو الدّنيويّة، وعلى كافّة الأصعدة، و مختلف المستويات، ذلك أنّه يناقش كلّ هذه المسائل بأسلوب محكمٍ دقيقٍ رقيقٍ و هادئٍ، وبصورة واضحة وبمنهج جدلي عقلي.

3- لم تعد هناك وسيلة للصراع لم تستخدم، لذلك فإننا نعتقد أن علم مقارنة الأديان سيكون أداة جديدة مصاحبة للفكر الإسلامي ولاسيما الإنساني، لنزع الصراع الذي وصل إلى مداه النهائي، وإن اللحظة مواتية للتفكير في مبادرات وحلول ممكنة وواقعية لإنهاء هذه الصراعات المذهبية التي دمرت على المستويين النفسي والواقعي كل شيء طيب في هذه المنطقة، وإن غياب مبادرات الحلول وفق معالم هذا العلم وإقصائه تقضي على منهجه المميز في التعامل مع الآخر المسلم وغير المسلم، يعني استمرار الصراع في سياق وتائر اجتماعية متعددة ولكنها بلا أفق ديني وسطي وإسلام سياسي واجتماعي متاح.

4- لقد أبانت كل تجارب الصراع المذهبي، أنها هي التي تدمر النسيج الاجتماعي، وتقضي على أسباب الوئام الاجتماعي في كل المجتمعات والأوطان، وتدخل الجميع في دهاليز الحروب التي لا رابح فيها أو من ورائها.. فهي أي هذه الحروب تدمر بلا هدف، وتمزق بلا أفق، وتشحن النفوس بدون غاية نبيلة، وتدخل جميع الأطراف في مرحلة الصراعات التي لا تبقي حجراً على حجر وعلاقة اجتماعية سليمة وبعيدة عن تأثيرات ومتواليات هذه الصراعات التي لا تنتهي.. و عليه فإننا نعتقد أن فكها يعود إلى إحياء هذا العلم ...

5- في الأخير لماذا يحدث هذا الصراع الطائفي والمذهبي في دول العالم العربي الإسلامي وفي بلدنا الجزائر دون غيرهم من البلدان الغربية، إنَّ هذه الدراسة تستشرف تساؤلات عديدة ومخيفة ينبغي معالجتها قبل استشراء الداء مستقبلاً في العالم الإسلامي لأن مشكلة فهم الظاهرة الدينية لا بد أن يكون محفز لها هو الدين.

6- الصراع الإيديولوجي ككل في الجزائر سببه الأول هو تسلل الفكر الخارجي الذي يدعو إلى تكفير المخالف في المذهب والعقيدة، و الطعن في شرعية وإسلامية علم مقارنة الأديان، وتخوين علماء الأمة بسبب الفكر الوهابي.

7- غياب المرجعية الدّينية في الجزائر أدى إلى استفحال ظاهرة تقييم للمشايخ و تخوين وتبديع وتجريح لمشايخ آخرين وتقزيمهم، مما خلق صراع طائفي مذهبي مرير، خاصة عندما تم الإعلان على أن الإباضية هي فرقة من فرق الخوارج، وكأن على المالكيين الخروج عنها ...

8- تغييب هذا العلم و كل آلياته –أقصد علم مقارنة الأديان وحصره في الجامعات الإسلامية فقط أدى إلى زيادة الهوة بين المخال وأخيه ...

6. قائمة المصادر والمراجع

- الحاج دواق "تقديم"، (2015)، ***التعددية الدينية ومنطق التعايش***، منشورات مؤمنون بلا حدود، الرباط، المغرب.
- عبد الرزاق عبد الله حاش (2012)، ***علم مقارنة الأديان بين سؤالي المفهوم والموضوعية: دراسة تحليليّة مقارنة***، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، مجلد 17 عدد 67.
- محمد دخوش، (2016)، مقال بعنوان :***الجزائر لن تكون أرض صراع وهابي – شيعي***، محاورة مباشرة مع الدكتور محمد عيسى وزير الشؤون الدنية والأوقاف،جريدة الحوار، يومية وطنية مستقلة: 2016/07/11.
- سيكو مارافا توري(د.ت)، ***علم مقارنة الأديان.. فضاء معرفي لفهم الآخر***، الموقع الرسمي لإسلام أونلاين، **http://islamonline.net/**3174.
- أحمد بن سيف الدين تركستاني (د.ت)، ***الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته و شروطه و آدابه***، الرياض: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- محمد الكتاني، (2007).***ثقافة الحوار في الإسلام م التأسيس إلى التأصيل***، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: الرباط، المغرب.
- موسى بن يحي الفيفي (1427ه).***الحوار أصوله وآدابه وكيف نربي أبناءنا عليه؟***، [ ]، دار الخصيري للنشر: المدينة المنورة.
- محمد الفاضل بن علي اللّافي، (2004).***تأصيل الحوار الدّيني – تأصيل المصطلحات و تحديد الضّوابط الشّرعيّة – مع مثال تطبيقي (السّودان نموذجًا)***، ط1، دار الكلمة: المنصورة، مصر.